

عملية عسكرية تركية في شمال سوريا: التوقيت والأهداف

من جديد عاد الحديث عن عملية عسكرية تركية محتملة في شمال سوريا. المسألة بدأت بعدما صرح الرئيس التركي رجب طيب إردوغان ان الجيش التركي سوف يقوم بعملية عسكرية تستهدف المناطق "الناقصة" من عملية "نبع السلام" التي جرت في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٩ واحتلت خلالها تركيا المنطقة الواقعة بين تل أبيض ورأس العين، بعمق متفاوت يصل أحيانا الى ٣٠ كيلومترا. لكن تركيا كانت فيما بعد تهدد من وقت لآخر باحتلال مناطق توجد فيها عناصر قوات الحماية الكردية وتقع الى الغرب من نهر الفرات مثل تل رفعت ومنبج والى الشرق منه مثل عين عيسى وصولا الى القامشلي والحدود العراقية.

ذريعة تركيا كانت على الدوام انها لن تسمح لقوات الحماية الكردية أن تشكل "ممرًا للإرهاب" في شمال سوريا على الحدود التركية، خصوصا انها تعتبر قوات الحماية الكردية امتدادا لحزب العمال الكردستاني.

وعلى هذا الأساس قامت تركيا منذ العام ٢٠١٦ حتى الآن بأربع عمليات كبيرة هي "درع الفرات" عام ٢٠١٦ واحتلت المنطقة الواقعة في مثلث جرابلس-أعزاز-الباب. والثانية "غصن الزيتون" في مطلع ٢٠١٨ واحتلت كل منطقة عفرين المحاذية للواء الاسكندرون والثالثة "نبع السلام" واحتلت في اكتوبر ٢٠٢٠ مناطق واسعة شرق الفرات بين تل أبيض ورأس العين. أما الرابعة فهي "درع الصحراء" وهي أقل حجما من سابقتها واستهدفت مواقع للجيش السوري واشتبكت مع القوات والطيران الروسية وانتهت باتفاقية ٥ مارس التي لم ينفذ منها شيء.

كانت حجة تركيا دائما هي تنظيف كل هذه المناطق من العناصر الكردية. لذا فالتحرك الآن يستهدف وفقاً للمعلومات التركية المناطق التي بقيت خارج منطقة نبع السلام من منبج وتل رفعت الى عين العرب/كوباني وعين عيسى والقامشلي على ان يتراجع

الأكراد الى عمق الفرات في الرقة وصولاً الى دير الزور. لكن اليوم يضاف عامل آخر تقف وراءه تركيا وهو إقامة منطقة آمنة داخل سوريا على امتداد الحدود مع تركيا بعرض لا يقل عن ٤٣٠ كيلومتراً وعمق يصل الى ٣٠ كيلومتراً. وذلك من أجل إسكان أكثر من مليون ونصف المليون لاجئ سوري في تركيا. وتقول تركيا ان نصف مليون لاجئ قد عادوا فعلاً حتى الآن الى المنطقة الآمنة في مثلث درع الفرات حيث بنيت لهم المساكن الجاهزة من الباطون/الاسمنت. وتزعم تركيا توسيع مناطق البيوت الجاهزة لتتسع لهؤلاء اللاجئين.

ويبدو أن إردوغان قد أحس بمخاطر اللجوء السوري في تركيا على سلطته اذ اتهمته المعارضة بأنه يجنس السوريين لكي يقترعون له في الانتخابات الرئاسية بعد عام. فضلاً عما يثيره اللجوء السوري من توترات اجتماعية واقتصادية مع المجتمع التركي أثرت سلباً على شعبية حزب العدالة والتنمية الحاكم. فأراد إردوغان أن يسحب هذه الورقة جزئياً من يد المعارضة.

لكن السؤال يبقى دائماً لماذا التوقيت الآن لشن هذه العملية في وقت لا توجد أية تهديدات كردية لتركيا من سوريا؟.

تتعدد أسباب التوقيت:

– انشغال العالم بالأزمة الأوكرانية ولا سيما روسيا التي قد تكون سحبت جزءاً من قواتها من سوريا فشعر إردوغان ان الفرصة مؤاتية لتركيا من دون اعتراض روسي حقيقي. وهي التي حالت قبل حوالي السنة دون ان ينفذ إردوغان تهديدات مشابهة لا سيما ان المناطق المستهدفة بغالبيتها تقع ضمن المراقبة الروسية ونفوذها.

– استغلال تركيا طلب السويد وفنلندا الانضمام الى حلف شمال الأطلسي لابتزاز الحلف وعدم استخدام الفيتو ضد السويد وفنلندا مقابل عدة مطالب منها عدم اعتراض الولايات المتحدة على الغزو التركي الجديد، لا سيما في حال لم تتقدم القوات التركية الى المناطق التي توجد فيها قوات أميركية.

– لكن ما يستثير التساؤل هو انه اذا كانت تركيا تريد حلاً لمشكلة اللاجئين السوريين بإقامة منطقة آمنة وتريد التخلص من قوات الحماية الكردية فلماذا لا تنسق مع دمشق وتفتح حواراً معها لحل جميع مشكلات سوريا المتصلة بتركيا؟.

برأيي إن الجواب الحاسم يكمن في أطماع تاريخية لتركيا التي تريد استكمال احتلال كل المنطقة الواقعة في شمال سوريا والتي كانت تقع ضمن خريطة الميثاق الملي التي وضعها البرلمان التركي في ٢٨ يناير ١٩٢٠ وتشمل كل المنطقة من الاسكندرون الى

حلب والرقّة ودير الزور وشمال العراق وصولاً إلى الحدود الإيرانية. ومن أجل ذلك عملت تركيا إلى تغيير البنية الديموغرافية في كل هذه المناطق وعملت على تتركبها في قطاع التعليم والاقتصاد والدين والفنون وغير ذلك. ولا علاقة لكل هذا بمشكلة اللاجئين ولا بالمنطقة الآمنة ولا بقوات الحماية الكردية ولا أي شيء آخر. عندها يمكن لإردوغان أن يخرج على الداخل التركي ممسكاً بورقة "فاتح الميثاق المليّ" ظناً منه أنها ستحمّله من جديد إلى رئاسة الجمهورية في انتخابات يونيو من العام المقبل. ليبقى التساؤل هل سيقوم إردوغان بالعملية؟ وهل ستمر من دون عقبات وتداعيات غير محسوبة؟ وهل إذا نجح في كل ذلك ستطابق حساباته السورية بيد الانتخابات الرئاسية؟.

رئيس التحرير